أطفال حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٩)



أكرم العرب وأفصح الناس

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة



أَصلُهُ وَنَسَبُهُ

هو سعيد بن العاص بن أبى أُحَيْحَة سعيد بن العاص ابن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

فهو من أشراف قريش يجتمع مع النَّبىّ ﷺ فى جَدٍّ من جدوده هو عبد مناف .

ويسمونه سعيد بن العاص الأصغر ؛ للتفرقة بينه وبين سعيد بن العاص الأكبر ، وقد خلط بعض الرُّواة بين السعيدين .

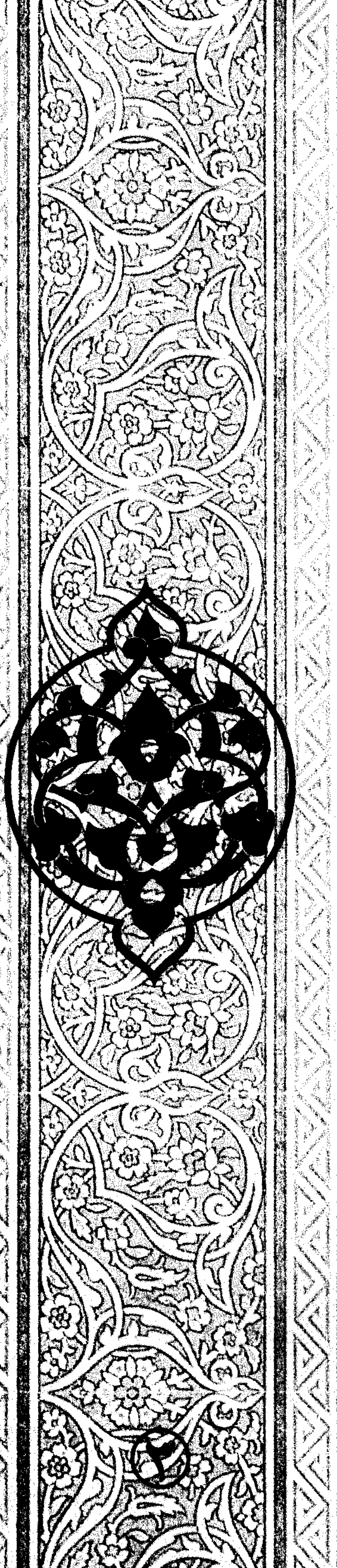
وأُمُّه : أُم كلثوم بنت عمرو بن أبى قيس بن عبد وُدّ ، وهى أيضاً قرشية الأصل والنشأة .

★ ★ ★

عَداوَةُ العَاص للْمُسلِمين

عُرِفَ العاص أبو سعيد فى مكة بعداوته الشديدة للمسلمين ، فقد كان واحداً من الذين يترددون على دار النّدوة بمكة ، ويخطّط لإيذاء المسلمين ، وقد ظلّ على عداوته الشديدة لمن يؤمن بما جاء به النَّبىّ ﷺ .

فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، وظلَّت قريش على عداوتها للمسلمين ، ثم كانت غَزْوَة بَدْر الكبرى ،



واشترك العاص مع المشركين فى قتال المسلمين ، ثم أراد أن يبارزه أحد المقاتلين ، فانبرى له على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وقتله وإلى ذلك أشار عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كما سيأتى .

★ ★ ★

حُبٌّ وَبَرَاءَة

ظل معظم سادات مكة على عدائهم لرسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، ولكن ذلك لم يُضعف من قوّة المسلمين ، ووقوفهم بالمرْصَاد للمشركين من أهل مكة .

فى هذا الجو المملوء بالعَدَاوة ، كان الصِّغار من أَبناء سادة قريش غير راضين على تصرفات آبائهم ، وعلى كرههم للمسلمين ، تلك العداوة التى لا تقوم على أساس ؛ لذلك فقد كانوا على صغرهم يفكرون فى أن يفرُّوا من أهلهم فى مكة ويهاجروا إلى المدينة ليلحقوا بركب الدَّعوة بعد أن ظهر لهم أن آباءهم على الباطل وأنهم ليسوا على الصَّوَاب فى عدائهم وكرههم للمسلمين .

لقد قُتِلَ العاص فى غَزْوَة (بَدْر) ، وترك ابنه الصغير فى مكة ، لكن سعيد بن العاص (رضى الله عنه) الطفل الصَّغير كغيره من الأطفال لم يرض بما يتمسك به آباؤهم ، بل لقد فَرّ إلى المدينة ولازم رسول الله ﷺ وتعلَّم منهُ الكثير فى الفترة التى قَضاها مع رسول الله ﷺ فى مسجده ومجلسه وما يسمع منه ، ويعلمه أصحابه .

قالوا عن سعيد بن العاص (رضى الله عنه) :

كان أميراً ، شريفاً ، جوَّاداً ، حليماً ، وقوراً ، ذا حزم وعقل ، يصلح للقيادة والخلافة .

وهو من أشراف قريش ، جمع بين السَّخاء والفَصَاحة ، وإن عربية القرآن أُقيمت على لسانه ؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ ، ويكفيه فَخْراً أنه أحد الذين كتبوا المصْحَف لعثمان (رضى الله عنهما) .

★ ★ ★

شَهَادَةُ النَّبىّ ﷺ لسَعِيد (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)

كان النَّبىّ ﷺ يُحدِّث الصَّحابة (رضى الله عنهم) وهم فى جَمْع كبير ، حتى دَخلَتْ عليه امرأة فَسَلَّمتْ ، فَردُّوا عليها السلام ، وكانت تحمل فى يدها (بُرْداً) ثميناً ، فقالَتْ : يا رسول الله ! إنِّى نويت أن أُعطى هذا الثَّوب أكرم العرب ، ونظر الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، كيف يختار الرسول ﷺ من تُشير به المرأة ، فنظر ﷺ فى وجُوه القَوْم ، ثم قالَ لها : « أعطيه هذا الغلام » .

يقصد ﷺ سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، ويكفى سعيد شهادة رسول الله ﷺ ، وسعيد لم يكن قد جاوز العاشرة ، ولم يظهر عليه ما يجعله يتميّز به حتى يكون معروفاً بالكرم ، وتلك شهادة ونبوءة منه ﷺ .

★ ★ ★



شَجَنٌ وَحزْنٌ لِفرَاق النَّبىّ ﷺ

حزن سعيد بن العاص (رضى الله عنه) لوفاة الرسول ﷺ ، وبكاه بكاءً شديداً ، وكان يودّ أن تطول مدّة إقامته معه ، وهو الذى ضمَّهُ إليه ، وأَحبَّه ، وأَظْهر عَطْفه وشَفَقتهُ عليه وهو صغير ، وكان يتوسّم فيه المستقبل الذى سيخدم فيه الدّعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، فهو يُوقن إيقاناً شديداً بأنه من خيرة القَوْم فى الإسلام ، لأنه كان من خيرة النَّاس قبل أن يُسْلم ، وهو الصَّغير الذى تفهّم جيداً ما يدعو إليه الدِّين .

★ ★ ★

بيَنَ سَعيد وَأَبى بَكر (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا)

تُوفى رسول الله ﷺ ، وتولى أَبو بكر (رضى الله عنه) خلافة المسلمين وقام بالأمر بعده خير قيام ، فالتفَّ المسلمون حوله ، وبايعه سعيد بن العاص (رضى الله عنه) فى مقدِّمة المسلمين ، وكان من أكثرهم حماساً وإخلاصاً بالرغم من أن سِنَّه لم يتجاوز الثانية عشرة ، ورأى الخليفة شجاعته وحماسته ، فأحبَّ أن يسند إليه قيادة من القيادات .

أراد الخليفة أن يرد الذين خرجوا على تعاليم الإسلام إلى عقيدتهم الصحيحة التى توارثوها عن النَّبىّ ﷺ .

فقد كان هناك فريقٌ من العرب ارتدوا ، ولم ينضموا إلى واحد ممن ادّعى النّبوة ، لقد نصحهم الخليفة حتى عادوا إلى الإسلام ، وأما الذين لم يرجعوا ، فسيّر إليهم الجيوش ، وعقد الألوية لقتالهم على أحد عشر قائداً فى وقت واحد .

وأمر كل قائد بالمسيرة إلى ناحية من نواحى بلاد العرب ، بعد أن كتب له عهداً يأمرهم فيه .

(بالجد فى أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان) .

وأمر كل قائد (أَلَّا يُقاتل إلَّا من كَفَر بالله ورسوله ﷺ) .

★ ★ ★

قَيادَةُ الشَّام

كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) واحداً من الذين اختارهم الخليفة لقتال المرتدين ، فكانت وجهته (الحمقتان) من مشارف الشام ، وتولية سعيد (رضى الله عنه) هذه القيادة يدل على أن سعيد (رضى الله عنه) كان محل ثقة للخليفة أبى بكر الصِّدِّيق (رضى الله عنه) بالرَّغم من صغر سِنِّه ، لما يمتاز به من قوَّة الإيمان ، وشدّة الحمَاس للدِّفاع عن دينه وعقيدته ،



وحُبِّه لأَنْ يُضحِّى فى سبيل الدَّعوة بكل ما يملك من قوة .

وهذا يرجع إلى تَفَهُّمِهِ العميق لما يدعو إليه الإسلام ، وهذه الروح القويّة التى عرفها رسول الله ﷺ فيه يوم أن سألته المرأة المسلمة أن تعطى هذا الثوب لرجل يختاره الرسول ﷺ ، فكان أن اختار له سعيد بن العاص (رضى الله عنه) .

استطاع سعيد (رضى الله عنه) أن يؤدى دوره فى القيادة ، وانتصر على الأعداء ، ورجع بالنَّاس إلى قاعدة الإسلام الصحيح ، ثم عاد إلى المدينة .

★ ★ ★

بَينَ ابْن الخَطَّاب وَسَعيد (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا)

كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) دائم التفكير فى أُموره ، ويخطط لها فى هدوء ، فمن رآه يحسب أنه مُعْرِضٌ عنه ، وأنه لا يريد لقاءه ، ولا يُقْبل عليه :

لقيه الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فناداه قائلًا : أسعيد بن العاص !

قال سعيد (رضى الله عنه) : نعم يا أمير المؤمنين .

قال عمر (رضى الله عنه) : ما لى أراك معرضاً عَنِّى ، وكأنى أنا الذى قتلت أباك يوم بدر ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرضت عنك .

قال عمر (رضى الله عنه) : إذا كنت تريد أن تعرف مَنْ قتل أباك يوم بدر إنه علىّ بن أبى طالب ، أَمَّا أنا فقد قتلت خالى بيدى ، وأنت تعرف أن خالى هو العاص ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال سعيد (رضى الله عنه) : يا أمير المؤمنين ، لا ذنب عليك ، لو قتلته كنت على حق ، وكان أبى على باطل ، فلا عليك من هذا الأمر ، وما كنت أُفكِّر فيه .

سُرَّ عمر (رضى الله عنه) بذلك كثيراً ، وعرف أن إيمان سعيد بربه وتعاليم دينه أقوى من كل شىء .

★ ★ ★

زِيَادَةٌ وَتَوسِعَةٌ

وموقف آخر لسعيد مع الخليفة عمر (رضى الله عنهما) :

رُوِىَ أن سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر (رضى الله عنهما) ، وطلب منه أن يضم إلى داره التى بالبلاط بالمدينة الأرض التى تجاورها :

قال عمر (رضى الله عنه) : صَلِّ معى الغداة ... ثم اذكر لى حاجتك .

قال سعيد (رضى الله عنه) : فصليت وأتيته ، ولكنى وجدته قد نسى ، وهمّ بالانصراف ، ولم يسألنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! حاجتى التى أمرتنى أن أذكرها لك ؟

أجابه الخليفة إلى طلبه ، وذهب معه إلى الدار ، ثم خطّ له برِجْله وقال : إلى هنا يا سعيد ضمها إلى دارك .

قال سعيد (رضى الله عنه) : زدنى ... فإن أولادى وأهلى سيكثرون !

فقال عمر (رضى الله عنه) : يكفى ما أعطيتك ... وحسْبُكَ أن سيلى الأمر بعدى من يصل رحمك ويقضى حاجتك .

★ ★ ★

جِهَــادُهُ

كان سعيد (رضى الله عنه) جنديًّا من الجنود التى جاهدت فى فتح الشام ، وكانت تابعة للدولة الرومانية ، وقد أرسل الخليفة جنوداً كثيرة تحت قيادات مختلفة منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد ابن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة (رضى الله عنهم) ، واستطاعوا بما لهم من قوّة وشجاعة أن ينتصروا على الدولة الرُّومانية ، وأن يقضوا عليها .

أبلى سعيد بن العاص (رضى الله عنه) بلاءً حَسَناً على الرّغم من صغر سِنِّه ، ولما تم النَّصر وأقام معاوية بالشام ، كان سعيد (رضى الله عنه) ملازماً له ، فأقام معه .

كان عمر (رضى الله عنه) يسأل دائماً عن القريشيين ، فذكروا له سعيد بن العاص (رضى الله عنه) فأخبروه أنه يُقيم مع معاوية ، وأن معاوية يرعاه ويساعده .

فأرسل الخليفة عمر (رضى الله عنه) إلى معاوية أن ابعث إليّ سعيداً ، فبعثه إلى المدينة .

رَحَّب به عُمر (رضى الله عنه) كثيراً وقال له : يا ابن أخى بلغنى عنك بلاء وصلاح ، فازدد يزيدك الله خيراً .

★ ★ ★

عَـرضٌ وَزَوَاج

قال الخليفة عمر لسعيد بن العاص (رضى الله عنهما) : هل لك مِنْ زوجة ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : لا .

قال : يا أبا عمرو ما منعك من هذا الغلام أن تكون له زوجة ؟

قال : عَرَضْت عليه ذلك فأبى .

ثم خطر له أن يخرج إلى البر ، وأن يترك المدينة ، فانتهى إلى بئر ماء ، فلقيه عليه أربع نسوة ، فقمن إليه .

قال سعيد (رضى الله عنه) : ما لَكُنَّ ، وَمَا أَنْتُنَّ ؟

فَقُلْنَ : نحن بنات سفيان بن عويف ، وكان مَعَهُنَّ أُمُّهنَّ .

قالت أُمُّهنَّ : هلك رجلنا ، وإذا هلك الرِّجال ، ضَاع نساؤهم ، فضعهن فى أكفائهن .

فزوَّج سعيداً إحداهن ، وعبد الرحمن بن عوف إحداهن ، والوليد بن عقبة إحداهن (رضى الله عنهم أجمعين) .

وكانت نساء العرب ، إذا كانت الواحدة منهنّ تصلح للزَّواج لا تمتنع أن تعرض نفسها للزَّواج من شَخْص ترى أنه يُناسبها ، وقد حصل ذلك كثيراً فى عهد رسول الله ﷺ ، فكانت المرأة تقول : يا رسول الله أُريد أن أتزوج ؟

فكان النَّبىّ ﷺ يعرضها على أصحابه أو يختار لها زوجاً ، وكان ذلك مباحاً ، وحلالًا .

★ ★ ★

ولقد أتت سعيد (رضى الله عنه) بنات نُعَيْم بن مسعود النهشلى ، وكُنَّ يَلْتَمسن الفضل من سعيد (رضى الله عنه) .

فَقُلْنَ لَهُ : قد هلك الرِّجال فى الحروب والمعارك والاستشْهَاد ، وبقى الصِّبيان فضعْنَا فى أكفائنا ، فزوَّج سعيد إحداهن ، وجبير بن مطعم إحداهن ، فشارك سعيد أكابر الصحابة (رضى الله عنهم) ، وكان الجميع ذوى بلاء فى الإسلام وتاريخهم مشرف فى الدّعوة ، كل هذا كان فى عهد عمر (رضى الله عنهم أجمعين) ، فلم يتركها إلَّا وسعيد (رضى الله عنه) كان من أقوى الرجال وأثبتهم فى مقدِّمة صفوف المجاهدين .



★ ★ ★

بَيـنَ سَـعيد وَعُثمَـان
(رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُمَا)

وتولى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) خلافة المسلمين، وكان الخليفة الثالث بعد عمر (رضى الله عنه) ، وانتخبه مجلس الشورى ، فقد وافقوا على اختياره وترشيحه للخلافة .

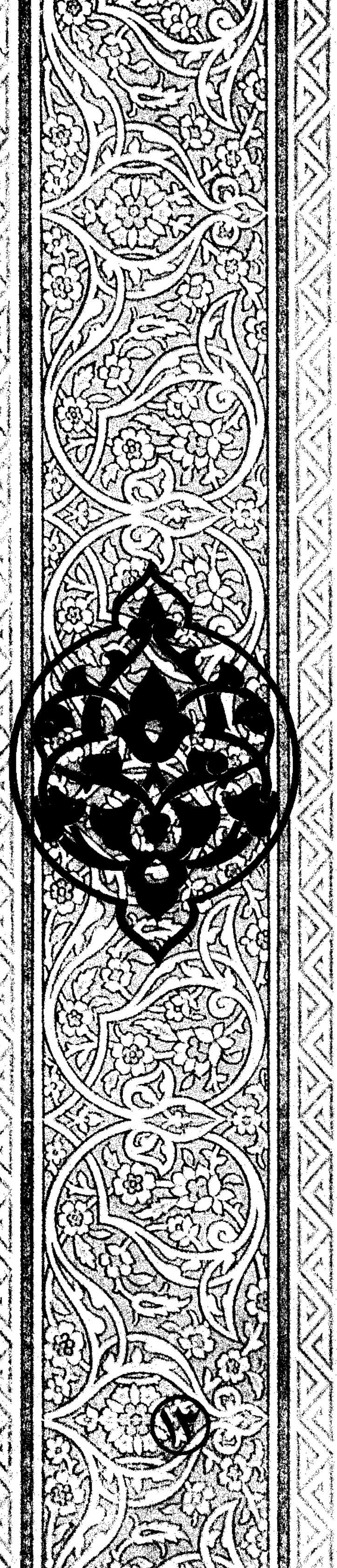
يقول **سعيد بن العاص** (رضى الله عنه) : فلما تولى عثمان (رضى الله عنه) - وكان أقرب النَّاس إليه - فوصلنى وأحسن صلتى ، وقضى حاجتى ، وأشركنى فى أمانته ، فزاد له فى الأرض ما شاء له ، وأعطاه ما طلب .

وتحقق بهذا ما قاله عمر (رضى الله عنه) له .

★ ★ ★

قَرَّبَهُ عثمان (رضى الله عنه) إليه للمودَّة ، والقرابة التى بينهما ، فكان يستشيره فى أول أمره ، ويعهد إليه بأُمور كثيرة ، ثم رأى الخليفة عثمان (رضى الله عنه) أن يوليه الكوفة ، ثم كتب إليه أن يعدل فى ولايته ، وأن يجمع النَّاس على الخير ، وأن يُقلِّل من حماسه ، وشدّته ، فاستجاب له ، ثم أرسل إليه الخليفة أن يتولى قيادة الجيوش لفتح البلاد التى وراء النهر .

★ ★ ★



فَتحُ بلَاد طَبرسْتَان

كلَّف الخليفة عثمان سعيد بن العاص (رضى الله عنهما) أن يتولى قيادة الجيوش لفَتْح طبرستان ، فخرج الجيش من المدينة ، وكان يضم الكثير من الصحابة ، وكان منهم الحسن والحسين ابنا الإمام على بن أبى طالب ، وعبد الله بن العباس ، وعمرو بن العاص ، والزبير بن العوام (رضى الله عنهم أجمعين) وتجمعوا بالكوفة تحت قيادة سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، واستطاع سعيد أن يضمها إلى بلاد المسلمين ، وأن يدفعوا له ما فرضه عليهم .

★ ★ ★

وغزا سعيد (رضى الله عنه) أيضاً جرجان وافتتحها ، وأظهر فى القتال شجاعة حتى ليقال : إنه ضرب رجلًا على حَبْل عاتقه ، فأخرج السيف من مرفقه .

لقد أتم فتح هذه البلاد ، وما كانت تحاول الخروج بعد الفتح كان يرجع إليها ، ويلقنها درساً فتخضع له ، فلا تحاول أن تخرج من الطاعة ، وهذا ما حصل فى أذربيجان ، فقد رجع إليها وافتتحها ثانية .

★ ★ ★

ثم رجع سعيد (رضى الله عنه) إلى الكوفة ، واستقرّ بها بعد الفتح ، وزاره الزُّبير بن العوام (رضى الله عنه) ، فبعثَ إليه بسبعمائة ألف ، وقال له :

لو كان فى بيت المال أكثر من هذا لبعثت بها إليك .

قضى سعيد (رضى الله عنه) أكثر من خمس سنوات على ولايته على الكوفة حتى مَلَّ الإقامة بها ومَلَّهُ أهل الكوفة ، ممَّا جعله يضطر إلى الرجوع إلى المدينة ، ويلتقى بالخليفة عثمان (رضى الله عنه) ليكون عوناً ومساعداً له .

★ ★ ★

سَعيد (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)
فى مَدينَة النَّبىّ ﷺ

رجع سعيد (رضى الله عنه) إلى المدينة ، والتقى بالخليفة عثمان (رضى الله عنه) ، وكانت بلاد المسلمين قد اتّسعَتْ رقْعَتها ، ، ودخلها مَنْ لم يدخل الإيمان قلْبه ، ودَبَّ الخلاف فى أَطْراف البلاد ، وكثر القيل والقال ، وأراد سعيد (رضى الله عنه) أن يدلى برأيه فى هذا الموقف ، فذهب إلى الخليفة وقال له : إلى متى تمسك بأيدينا ؟ قد أكلنا أكلًا هؤلاء القوم ، منهم من رمى بالنّبل ، ومنهم من قد رمى بالحجَارة ، ومنهم من شَهَر سيفه ، فمرنا بأمرك !!

قال عثمان (رضى الله عنه) : إنى والله ما أُريد قتالهم ، ولو أردته لرجوت أن أمتنع منهم ، ولكنى أَكِلُهم إلى الله ، وأَكِلُ من افترى علىّ إلى الله ، فإنَّا سنجتمع عند ربنا ، وأما قتالٌ فوالله ما آمرك بقتالهم .

قال سعيد (رضى الله عنه) : فوالله لا أسأل عنك أحداً أبداً ، ثم خرج من عنده ، فوقف يُدَافع عنه مع الذين قد التفّوا حول الدَّار حتى ضربه أحد الخارجين فشجّ رأسه شجّة عظيمة ، ولم يكن بين دماغه إلَّا جلد رقيق .

★ ★ ★

رِثَـاءُ عثمان (رَضِيَ اللَّـهُ عَنـهُ)

وقُتِلَ الخليفة عثمان (رضى الله عنه) ، وخرج سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، وجموع كثيرة من المسلمين تاركة المدينة متجهة إلى البصرة ، ومشى سعيد (رضى الله عنه) معهم قليلاً وفى مر الظَّهْران قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن عثمان (رضى الله عنه) عاش فى الدنيا حميداً ، وخرج منها فقيداً ، وتُوفى سَعِيداً شهيداً فَضَاعف الله حَسَناته ، وحط سيئاته ، ورفع درجاته ﴿ ... **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [١] ، ثم رجع سعيد بن العاص (رضى الله عنه) بمن تبعه حتى نزل مكة ، فلم يزل بها حتى تولى الخلافة معاوية بن أبى سفيان » .

★ ★ ★

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٩) .

بَيـنَ سَعيد (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُ) وَمُعَاوِيَة

ابتعد سعيد بن العاص (رضى الله عنه) عن الذين يطلبون الحكم ، فلم يشترك معهم فيما يطلبون ، حتى إذا استقرّ الأمر لمعاوية ، وكان بينهما قرابة ومودَّة ، وكان معاوية يُحبّ أن يُشْرِك سعيداً (رضى الله عنه) فى كل شىء ، راح يعتب عليه فى أول لقاءٍ بعد أن تولى الخلافة .

قال معاوية : يا أبا عثمان ! تركتنا ونحن فى أشدّ الحاجة إلى معاونتك ومساعدتك .

قال سعيد (رضى الله عنه) : ما تركتك إلَّا وأنا أعرف جيداً أنك لها ، وستتغلب على جميع ما يصادفك من متاعب .

قال معاوية : ولكنك أبطأت علينا .

قال سعيد (رضى الله عنه) : غناؤك عنى أبطأنى عنك ، وكنتُ قريباً لو دعوت لأجبناك ، ولو أمرت لأطعناك .

قال معاوية : ذلك ظنُّنا بك ، وقد عفونا عنك .

★ ★ ★

قدّم معاويةُ سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ومن معه إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام هؤلاء قومى ، وهذا كلامهم ، ثم التفت إلى سعيد (رضى الله عنه) وقال : أخبرنى عن مالِك ، فقد نُبِّئْت أنك تتحرَّى فيه .

قال سعيد (رضى الله عنه) : يا أمير المؤمنين لنا مالٌ يخرج لنا منه فضل ، فإذا كان ما خرج قليلًا أنفقناه على قلته ، وإن كان كثيراً فكذلك غير أنّا لا ندخر منه شيئاً عن مُعْسِر ، ولا طالبٍ ، ولا مستحملٍ [1] ، ولا نستأثر منه بِفَلْذَةِ لحم [2] ، ولا مُزْعَةِ شحم [3] .

قال معاوية : فكم يدوم لك ذلك ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : من السنة نصفها .

قال معاوية : فما تصنع فى باقيها ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : نجد من يسلفنا ، ويسارع فى معاملتنا .

قال معاوية : ما أحد أحوج أن يصلح من شأننا منك ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : إن شأننا لصالح ، يا أمير المؤمنين ، ولو زدت فى مالى مثله ، ما كنت إلَّا بمثل هذه الحال .

★ ★ ★

أمر له معاوية بخمسين ألف درهم وقال : اشْتَرِ بها ضَيْعة تعينك على مروءتك .

قال سعيد (رضى الله عنه) : بل أشترى بها حَمْداً وذكراً باقياً : أطعم بها الجائع ، وأُزوج بها الأيِّم [4] ،

---

(١) **مستحمل** : أى متحمل دية .

(٢) **فلذة لحم** : شريحة لحم .

(٣) **مُزْعة شحم** : قطعة شحم .

(٤) **الأيِّم** : من لا زوج له من الرجال أو النساء .

وأَفُكُّ بها الأَسير ، وأواسى بها الصَّديق ، وأُصلح بها حال الجار .

فقال معاوية : ما فضيلةً بعد الإيمان بالله هى أرفع فى الذكر ، ولا أنبه فى الشرف من الجود ، وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود أحد صفاته .

★ ★ ★

ظل سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ملازماً للخليفة معاوية ، ومعاوية كان يقدم له كل ما يطلبه ، وكان يولّيه المدينة سَنة ، ويولى مروان بن الحكم سنة ، وكان قد رشحهُ للخلافة إلَّا أنه خصّ بها ابنه يزيد ، ولما مات سعيد (رضى الله عنه) ، ومعاوية ما يزال خليفة مدحه وأثنى عليه .

★ ★ ★

جَـودٌ وَكَرمٌ

كرم سعيد بن العاص (رضى الله عنه) لم يسبقه إليه كريم ، ولم يأت بعده من يشاركه فى هذا الكرم ، ولولا أن جميع المؤرخين أجمعوا على ما امتاز به من هذه الصِّفة ، ورووا قصصاً وأحاديث ووقائع لقلنا : إنها من نسج الخيال ، ولقد ضرب الله به المثل ليكون نموذجاً ومثلًا أعلى لمن يقتدى ويتأسى به فى قضاء الحاجات ، وهذه بعض الحقائق :

★ ★ ★

أَرْبَع ديات

قَدِمَ أَعرابيّ إلى المدينة يطلب أربع ديات تحمّلها ، فقيل له : عليك بالحسن بن عليّ ، عليك بعبد الله ابن جعفر ، عليك بسعيد بن العاص ، عليك بعبد الله ابن العباس (رضى الله عنهم أجمعين) .

فدخل المسجد ، فرأى رجلًا يخرج ومعه جماعة ، فقال : مَنْ هذا ؟

فقيل له : هذا سعيد بن العاص (رضى الله عنه) .

قال : هذا أحد أصحابى الذين ذكروا لى فمشى معه ، فأخبره بالذى قَدِمَ له ، ومَنْ ذكر له ، وأنه أحدهم ، وسعيد (رضى الله عنه) ساكت لا يجيبه ، فلما بلغ منزله ، قال لخازنه : قل لهذا الأعرابى فليأت بمن يحمل له .

فقيل له : ائت بمن يحمل لك .

قال : عافى الله سعيداً ، إنما سألناه وَرِقاً[1] ولم نسأله تمراً .

قال : ويحك ، ائت بمن يحمل لك .

فأخرج إليه أربعين ألفاً ، فاحتملها الأعرابى ، فمضى إلى البادية ، ولم يلق غيره .

★ ★ ★

---

(١) **والوَرِق** : الفضة ، والمقصود هنا : الدراهم .

إِنَّ لى عنـدَك يـداً

أتى سعيداً بن العاص (رضى الله عنه) رجلٌ ، فقال له : إن لى عندك يداً ؟

فقال له سعيد (رضى الله عنه) : وما هى ؟

قال : رأيتك جالساً عند دار كُثيِّر بن الصَّلْت ، ولما يحضر جلساؤك ، فجلست إليك أنادمك حتى حضروا فدفع إليه عشرة آلاف .

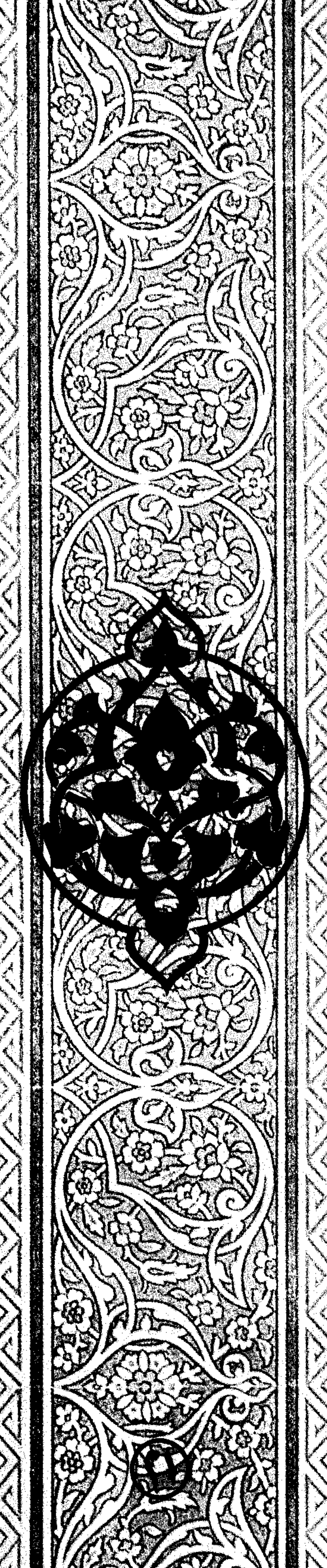
★ ★ ★

وعندما كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) والياً على الكوفة ، كان يدعو إخوانه وجيرانه فى كل جُمْعَة ، فيصنع لهم الطعام ، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة ، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة ، ويبعث إلى عائلاتهم بالبر الكثير .

وكان يوجه خادمه فى كل جمعة ، فيدخل المسجد ، ومعه صُرر فيها دنانير ، فيضعها بين يدى المصلين ، وكان قد كثر المصلون فى كل ليلة جمعة فى مسجد الكوفة .

★ ★ ★

طلب سعيد بن العاص (رضى الله عنه) شربة ماء من دار بالمدينة فسقوه ، ثم حضر صاحب الدار فى وقت مع جماعة ، فعرض الدار على البيع ، وكان عليه أربعة آلاف دينار ، فبلغ سعيد (رضى الله عنه) أن صاحب الدار يريد بيع داره لقضاء دينه فقال : إن له حرمة وذماماً



علينا لسقيه إياناً ، فركب ووفّى عن صاحب الدار ، وسَلَّمَهُ داره .

أتى أعرابيٌّ سعيداً بن العاص (رضى الله عنه) فسأله شيئاً فقال لغلامه : أعطه خمسمائة .

ذهب الغلام ، ثم رجع إلى سعيد (رضى الله عنه) فقال : هى من الدراهم أم من الدنانير ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : ويحك ما أراد إلَّا الدراهم ، فإذا توهمت الدنانير ، فأعطه إياها فقبضها الرجل ، ثم جلس يبكى .

فقال سعيد (رضى الله عنه) : ما يبكيك ؟ أليس قد قضى الله حاجتك ؟

قال : بلى ! ولكن أبكى على الأرض أن تأكل مثلك .

★ ★ ★

ينفقُ ما فى بَيت المال

كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) والياً على المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فأصاب النَّاس قحط ، فأطعمهم حتى أنفق ما فى بيت المال ، وأدان ، فكتب إليه معاوية وكان مغضباً وقال : لم يرض سعيد أن ينفق مالنا ، حتى أنفق ما فى بيت المال وأدان ...

★ ★ ★

ومن جود سعيد بن العاص (رضى الله عنه) أنه

مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السِّمْط ، ومسلم بن عقبة المُرّى ... فلما نظر سعيد (رضى الله عنه) معاوية وثب عن صدر مجلسه إعظاماً لمعاوية ، فقال له معاوية : أقسمت عليك أبا عثمان ألا تتحرك ، فقد ضعفت بالعلة .

فسقط ؛ فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه ، وأخذ بيده فأقعده على فراشه ، وقعد معه ، وجعل يسأله عن علته ومنامه ، وغذائه ، ويصف له ما ينبغى أن يتوقاه ، وأطال القعود معه .

فلما خرج معاوية التفت إلى شرحبيل بن السمط ، ويزيد بن شجرة فقال : هل رأيتما خللًا فى مال أبى عثمان ؟

فقالا : ما رأينا شيئاً ننكره .

★ ★ ★

التفت الخليفة معاوية إلى مسلم بن عقبة وقال : ما تقول يا مسلم ؟

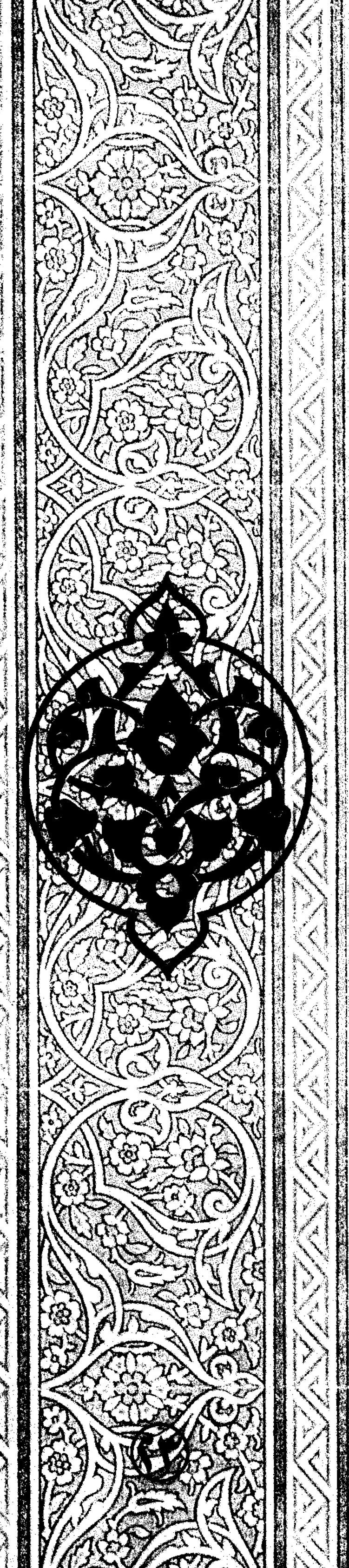
قال مسلم : رأيت ...

قال معاوية : وما ذلك ؟

قال : رأيت على حشمه ومواليه ثياباً وسخة ، ورأيت صحن داره غير مكنوس ، ورأيت التجار يخاصمون رجاله .

قال معاوية : صدقت ، كل ذلك قد رأيته !

وجه معاوية مع مسلم بن عقبة المرى إلى سعيد



ابن العاص (رضى الله عنه) بثلثمائة ألف ، فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان .

★ ★ ★

غضب سعيد (رضى الله عنه) ، وقال للرسول : إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء ، وتأول فأخطأ ، فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه ، وأما كنس الدار فليس أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته ، ثم لا يبالى بمن مات هُزْلًا من ذى قرابة أوحاجة ، أما منازعة التجار لرجلى فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه ، لم يجد بُدًّا من أن يكون ظالماً أو مظلوماً .

أما المال الذى أمر به أمير المؤمنين ، فوصلته كل ذى رحم قاطعة ، وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ، ولشرحبيل بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها ، وفى سعة الله ، وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه معولنا .

★ ★ ★

فَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ

كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ذا بلاغة ومنطق لكنه لا يتكلم إلا فى مناسبة يختارها ، أوفى موقف يعود على السامع منه بالفائدة ، فكانت كلماته أغلى وأنفع .

قال سعيد (رضى الله عنه) يخاطب ابنه عمروًا : يا بنىّ ! أخزى الله المعروفَ إذا لم يكن ابتداء من

غير مسألة ، أما إذا أتاك إنسان تكاد ترى دمه فى وجهه ، ومخاطراً لا يدرى أتعطيه أم تمنعه ، فوالله لو خرجت له جميع مالك ما كافأته .

★ ★ ★

وقال أيضاً : ما شاتمت رجلًا منذ كنت رجلًا ، ولا زاحمت ركبتى ركبته ، وإذا أنا لم أصِل زائرى حتى يرشح جبينه كما يرشح السُّقاة ، فوالله ما وصلته .

★ ★ ★

وقال سعيد (رضى الله عنه) : لجليسى علىّ ثلاث خصال : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس أوسعت له ، وإذا حدّث أقبلت عليه .

★ ★ ★

قال سعيد (رضى الله عنه) لابنه : يا بنىّ ! لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنىء فيجترئ عليك .

★ ★ ★

كان فى رده الإقناع على من يحاول النيل منه .

قال معاوية لسعيد بن العاص (رضى الله عنه) : كم ولدك ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : عشرة والذكران فيهم أكثر .

فقال معاوية : ﴿ ... **وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾ [1] .

---

(١) سورة الشورى ، الآية (٤٩) .

فقال سعيد (رضى الله عنه) : ﴿ ... **تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ...** ﴾ (١) .

★ ★ ★

وصى ابنه بوصايا وخصال ، فكان مما قاله : يا بُنىّ ! لا تزوجن بناتى إلا من الأكفاء ، ولو بفلق خبز شعير .

يا بُنىّ ! إن فقد إخوانى وجهى ، فلا يفقدوا معروفى .

يا بُنىّ ! ما زلت أعرف الكرم فى نظرات عينيك ، وأنت يحرك بك فى مهدك حتى بلغت ما أرى .

يا بُنىّ ! لو كانت المكارم سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام ، ولكنها كريهة مُرة لا يصير إليها إلا من عرف فضلها ، ورجا ثوابها .

★ ★ ★

وقال سعيد (رضى الله عنه) : ما أدرى كيف أكافئ رجلًا بات يقسم ظنه ، فلا يقع إلا علىّ ، وأصبح يتخطى الناس ، ويتخطى المجالس والأحياء حتى يكرمنى بنفسه ، ويؤنسنى بحديثه . غدا التجار إلى تجارتهم ، وغدا إلىّ فى حاجته ، فإن كنت أخسه فأخس الله حظى يوم القيامة .

★ ★ ★

قال سعيد (رضى الله عنه) : لا أعتذر من العى (٢) فى حالين : إذا خاطب سفيهاً ، أو طلبت حاجة لنفسى .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٢٦) .

(٢) **العى** : عدم القدرة على الكلام .

وعن الأصمعى أن سعيد بن العاص خطب ، فكان مما قاله فى خطبته : « من رزقه الله رزقاً حسناً ، فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين : إما مصلح فلا يقلّ عليه شىء ، وإما مفسد فلا يبقى له شىء »

★ ★ ★

مَكَانَةٌ وَمَنزِلَةٌ

كان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) كريماً بلا حدود ، فهو يعطى بنفس صافية ولا ينتظر جزاءً ولا شكوراً وليس له رغبة فى خلافة حتى الولاية إذا جاءته تولاها عن نفس أبية لا ينتظر مكانة ولا منزلة .

لذلك فقد كان محل احترام وتقدير من الجميع ، فعلا وارتفع ، وكذلك كل من له صفة الكرم والسخاء ، وخاصة إذا كان مثل سعيد بن العاص (رضى الله عنه) فكرمه فاق كل حدود هذه الصفة حتى لقد صار كرمه أشبه بالخيال منه بالحقيقة .

★ ★ ★

نوه به رسول الله ﷺ حينما جاءته الصحابية الجليلة حاملة برداً غالياً ثميناً تريد أن تعطيه لرجل اتصف بصفة الكرم ، وامتاز بها عن أقرانه ، ونظر جميع الصحابة إلى رسول الله ﷺ وتطلعوا إلى من سوف يختاره الرسول ، فإذ به ﷺ يقول : « أعطيه هذا الغلام » [١]

---

(١) تقدم تخريجه .

يعنى سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، فكانت نبوءة لغلام صغير السن واضح النباهة والذكاء ، جدير بالثناء .

★ ★ ★

ثم كان موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حينما رآه معرضاً ، فأحب أن يعرف سبب إعراضه ، ولو كان إنساناً عادياً ما أقلق عمر إعراض سعيد (رضى الله عنهما) ، ولكنه له المكانة الكبرى عند أمير المؤمنين ، فلما رد عليه وبين وجهة نظره حينما قال له عمر (رضى الله عنه) : ما أنا بالذى قتل أباك ؟

فأجابه سعيد (رضى الله عنه) : لو كنت أنت الذى قتلته ، فقد كنت على حق وأبى على باطل ، فزادت مكانته وارتفعت فى عين أمير المؤمنين ، وهذا موجب للتقدير والثناء والإكبار .

★ ★ ★

وكان معاوية يجله ويحترمه ويعرف مكانته ، حتى أنه فكر أن يلى سعيد بن العاص (رضى الله عنه) الخلافة بعده ، وذلك قبل أن يختار ابنه لها .

قال له قبيصة بن جابر يسأله : من ترى لهذا الأمر من بعدك - يعنى الخلافة - ؟

قال معاوية : (أما كريمة قريش فسعيد بن العاص (رضى الله عنه) .

★ ★ ★

ويروى سعيد الأموى فيقول : قدم محمد بن عقيل ابن أبى طالب على أبيه وهو بمكة فقال : ما أقدمك يا بنيّ ؟

قال محمد : قدمت لأن قريشاً تُفاخرنى ، فأردت أن أعلم أشرف الناس .

قال : أنا وابن أمى ، ثم حسبك بسعيد بن العاص (رضى الله عنه) .

★ ★ ★

قال سعيد بن عبد العزيز الدمشقى : « إنّ عربية القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ » [1] .

وكان سعيد (رضى الله عنه) هذا أحد الذين ندبهم عثمان (رضى الله عنه) لكتابة المصحف لفصاحته .

★ ★ ★

وكان الحُطيئة شاعراً فى صدر الإسلام ، وكان لا يمدح إلَّا قليلًا جدًّا ، وكان دائم الهجاء هجا كل شىء حتى نفسه وأباه وأُمه ، وعرف الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) منه ذلك ، فحبسه ، فراح يتوسل إلى عمر (رضى الله عنه) أن يفك سجنه ، وكان مما أنشده لفك أسره قوله :

---

(١) أخرجه ابن أبى داود فى « المصاحف » عن طريق ابن العباس ابن الوليد .

ماذا أقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فهو يستشفع إليه بأولاده الصغار الذين تركهم بلا طعام ولا ماء .

هذا الشاعر الهجّاء يتعرف على سعيد بن العاص (رضى الله عنه) فيمدحه بشعره ، وكان يقول لسعيد (رضى الله عنه) : عُكّة العسل ، وكان غير طويل فقال له :

سعيد فلا تغررك خفة لحمه
تخدد منه اللحم وهو صليب

وأيضاً فقد مدحه الشاعر المشهور الفرزدق مبيناً مكانته ومنزلته :

ترى الغُرَّ الجحاجِحَ[1] من قريش
إذا ما الأمر فى الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ
كأَنَّهُمْ يرون به هلالا

★ ★ ★

---

(١) **الجحاجح** : جمع جحجاح : وهو السيد الكريم . **عال** : أثقل وفدح .

وَفَـاتُـهُ

الموت نهاية كل حيّ ، ولقد اشتدت على سعيد (رضى الله عنه) العلة ، وكان مقيماً فى ضيعة له بقرب المدينة على بعد ثلاثة أميال ، فقال لابنه عمرو :

يا بُنىّ ! هل ترى ما نزل بى ؟

فقال له عمرو : يا أبة ! لو حملت إلى المدينة ؟

قال سعيد (رضى الله عنه) : يا بنىّ ! إن الحركة تتعبنى ، وإن أهلى لا يبخلون علىّ بحملى على رقابهم ساعة ، ولقد وفوا بذلك ، وحملوه على أعناقهم ، وعلمت المدينة بوفاته ، فخرجت كلها ، لتدفن أكرم من عرف فى حياته ، فدفن فى البقيع ، رحمه الله تعالى ، ورضى الله عنه .

★ ★ ★

كَرَمـهُ حتَّى بَعـد مَـوْتِه

كان سعيد (رضى الله عنه) قد وصّى ابنه عمروًا ، فقال : إذا أنا متّ ، وفَرغْت من دفنى ، فوجه مطيتك [1] نحو معاوية ، فانعنى له ، فإنه سيسألك عن دينى ويضمنه ، فأعلمه ذلك ، وجَزِّه خيراً ، ثم قل له : يا أمير المؤمنين ! إن لأبى ضيعة أَمَرَ ببيعها لقضاء دينه ، فإنه سيشتريها منك ، فاسأله أن يكتب لك بمالها إلى المدينة ، فسدد بها دينى .

---

(١) **المطية** : الركوبة .

فلما دفن كانت مطايا عمرو بن سعيد واقفة فعزى عنه ، ثم ركب يريد معاوية حتى وصل إليه ، فنعى أباه له ، فتفجع ، ثم قال معاوية ، بعد أن ترحم عليه : ما ترك من الدَّين فهو عليّ .

فقال عمرو بن سعيد : يا أمير المؤمنين قد علم ذلك - وصلك الله ، ومدّ فى عمرك - ولكنه أمرنى ببيع ضيعة له وهى الفلانية .

قال معاوية : قد اشتريتها بدينه ، وكتب له بالمال المطلوب إلى المدينة .

★ ★ ★

جاء رجل من قريش بصك على سعيد (رضى الله عنه) بعشرين ألف درهم ، فيه شهادة خادم سعيد عليه .

قال له عمرو : يا هذا إنى أعرف هذا الخط ، ودعا خادم أبيه فقال له : أتعرف هذا ؟ فشهد به .

قال عمرو له : ما سبب هذا الدَّيْن .

قال الخادم : إن هذا الرجل زار أباك (رضى الله عنه) وقد ركب لبعض حاجاته فسار معه حتى قضاها ورجع ، ولكن الرجل رجع معه ، رأى سعيد (رضى الله عنه) على وجه الرجل حاجة ، فقال له : يا فتى ! ألك حاجة ؟

قال الرجل : نعم لى حاجة .

قال سعيد (رضى الله عنه) : وما هى ؟

قال الرجل : هى أن عليّ ديناً أريد أن أسدده .

قال سعيد (رضى الله عنه) : كم دَيْنُك ؟

قال الرجل : عشرون ألف درهم .

لم يكن مع أبيك هذا المبلغ ، فقال لى : عجّل علىّ بصحيفة ، فكتب له بهذا ديناً عليه حالًّا .

فقال عمرو بن سعيد : إذن والله لا يأخذها إلَّا معجلة منتقدة !

رحم الله سعيد بن العاص ، كان أكرم الناس فى حياته ، وفيًّا لهم بعد مماته ، غفر الله له ورحمه ورضى عنه .

* * *

وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

عبد الله بن جعفر

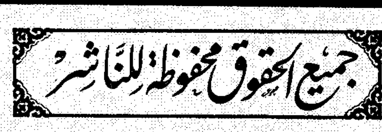
كفل النبى صلى الله عليه وسلم

* * *

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضى - كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦





رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧/ ١٩٩٦